مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان (2023)، ص.245/258

المعالجة العرفانيّة لبنية المفاهيم اللّغويّة في الدّماغ البشري

Cognitive processing of the structure of language concepts in the human brain

خليفة عائشة *
khelifa.aicha@cuniv-tissemsilt.dz
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت
جامعة تيسمسيلت
(الجزائر)

أ.د مرسلي مسعودة
messa.morsli@gmail.com
جامعة تيسمسيلت
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/11/14 تاريخ القبول: 2023/04/14 تاريخ النشر: 2023/06/02

ملخص:

تجمع هذه الورقة البحثيّة بين المعرفة التجريبيّة والنظريّة المجرّدة؛ لتعليل قضيّة اللّغة بوصفها طبيعيّة إنسانيّة ذات غاية تواصليّة، وفهم نمط عمل الدّماغ وربط وظائفه بإنتاج اللّغة من التذكّر إلى تخطيط المخّ؛ وذلك بالبحث في تكوين الذّهن البشريّ للمفاهيم حول الموجودات في العالم.

فالشّكل المحسوس للظّاهرة اللّغويّة إنّما أخرجته إلى الواقع قوانين طبيعيّة أثبتها علماء الأعصاب، وإن كان من المستحيل إنكار دور الفلسفة وعلم النّفس في تقدّم المعرفة العصبيّة رغم صوريّة نتائج أبحاثها. ومن هنا جاءت النظريّة العرفانيّة كوسيلة تربط اللّغة بالذّهن –مستعينة بتداخل مجموعة من العلوم المعرفيّة- للمساهمة في خدمة اللّغة من الإدراك إلى الإخراج عبر مختلف العمليّات سواء الطبيعيّة منها أو النّفسيّة.

الكلمات المفتاحية: مفاهيم، ذهن، لسانيّات، عرفانيّة، الدّماغ، إدراك.

Abstract:

This paper combines empirical knowledge with abstract theory to explain the cause of language as a human nature with a communication objective, understans the pattern of the brain's work, and links its functions to language production from remembrance to brain planning. This is done by examining how the human mind froms concepts about the world's assets.

The perceived from of the linguistic phenomenon was brought to reality by natural laws proven by neuroscientists, although it is impossible to deny the role of philosophy and psychology in the advancement of neural knowledge despite the nominal results of its research. Hence, the cognitive theory as a means of linking language to the mind emerged, using the overlap of a set of cognitive sciences, to contribute to the service of language from perception to output through various processes, whether natural or psychological.

Keywords: *concepts, mind, linguistics, cognitive, brain, perception.*

*المؤلف المرسل.

مقدّمة:

أضحت دراسة اللّغة تعتمد على تضافر حقول معرفيّة متعدّدة؛ منها ما هو علميّ تجريبيّ، ومنها ما هو نظريّ إنسانيّ مجرّد في تعليل النتائج التّي خلصت إليها أبحاثها؛ لما لمادّة الدّراسة من اعتبارات خاصّة؛ إذ يتعلّق الأمر باللّغة بوصفها طبيعيّة إنسانيّة ذات غاية تواصليّة.

فالشكل المحسوس للّغة كظاهرة إنّما أخضعته للخروج إلى الواقع قوانين طبيعيّة أثبتها علماء الأعصاب، وهو ما يسعى المقال إلى إثباته من خلال هذا الطّرح: **المعالجة العرفانيّة لبنية المفاهيم اللّغويّة في الدّماغ البشري**؛ في محاولة لفهم ومعرفة كيفيّة عمل كلّ من العقل والدّماغ والتذكّر وتخطيط المخ؛ إذ لا يمكن إنكار أنّ تقدّم المعرفة العصبيّة جاء نتيجة للأطروحات والأفكار والتأمّلات الفلسفيّة والنفسيّة.

وكما هو معلوم من أنّ الدّراسات النفسيّة والفلسفيّة نتائج أبحاثها واكتشافها للقواعد والقوانين تأتي غالبا أكثر صوريّة؛ لما تعرفه من اختلاف في أساليب البحث، عكس العلوم الطبيعيّة المقنّنة الخاضعة للكشف بالملاحظة والتّجريب.

ومن هنا جاءت النظريّة العرفانيّة كوسيلة تربط اللّغة بالذّهن -من خلال استعانتها بتداخل مجموعة من العلوم المعرفيّة- لإدراك جملة من العمليّات العقليّة في الذّهن تساهم في خدمة اللّغة؛ من الإدراك إلى الإخراج عبر مختلف العمليّات سواء الطبيعيّة منها أو التفسيّة، فكيف استفادت اللّغة من اللّسانيّات العرفانيّة في إطار بحث تكوين الذّهن البشري للمفاهيم حول الموجودات في العالم؟ قادنا هذا الطّرح إلى جملة إشكاليّات فرعيّة من قبيل: كيف ندرك العالم؟ وكيف نمثّله؟ وكيف يوظّف الناس المعرفة؟ وكيف يتمّ تذكّرها؟

لقد كانت غاية اللّسانيّات العرفانيّة خدمة اللّغة الّتي يُغرض من خلالها إلى بلوغ التّواصل؛ الذّى لا يمكن أن يتحقّق أو يتأتّى إلّا من خلال بناء المفاهيم المحقّقة في قالب لغويّ سليم (معجما وتركيبا وصرفا ودلالة)؛ من المتكلّم أو الباث، واستيعابها أو تشفيريها من طرف المخاطَب، فالوظيفة الأساسيّة للكلام هي التّبليغ، وعدم تحقّق هذا الغرض الأخير يلغي وظيفة الأوّل؛ (فاللّغة نشاط يتمّ في الدّماغ، وهي معرفة من المعارف الّتي يكتسبها الفرد بالتعلّم لتستقرّ في الدّماغ)[1]، فممّا لا يخفى أنّ دماغ الإنسان يتطوّر تدريجيّا، فحديث الولادة –مثلا- لا يقوى على استخدام أعضائه المرئيّة، ولكن مع نموّه -منذ الأشهر الأولى- يبدأ في التعلّم من الحركة إلى اللّمس إلى التحكّم في الأصابع (الشدّ) ثمّ الرّغبة في التنقّل؛ كسبل تواصليّة للتّعبير عن حاجته ورغبة في إثبات ذاته، وهو مالا يرويه أو لا يشبعه إلّا اللّغة الّتي يسعى جاهدا إلى الإحاطة بها وتعلّمها.

وهذه الوظائف وغيرها مجتمعة تقع تحت مسؤوليّة الدّماغ؛ فما يلجأ إليه كلّ من المتكلّم والمخاطب في تشكيل المعنى هو عمليّة ذهنيّة منظّمة تهتمّ اللّسانيّات العرفانيّة لمعرفتها، خاصّة وقد عدّت اللّغة مركّبا معقّدا وغامضا.

1- اللّسانيّات العرفانيّة:

اللّسانيّات العرفانيّة مصطلح يصل بين علمي اللّسانيّات "علم يهتم لدراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها"، والعلوم العرفانيّة "العلوم الّتي تهتمّ بدراسة آليّات اشتغال الذّهن بصورة خاصّة، والذّكاء بصفة عامّة هدفها فهم بنية، وعمل العقل البشري"[2]؛ فتدرس اللّغة بوصفها فرعا من الذّهن البشريّ بإعطائها القيمة ذاتها وباقي القدرات المعرفيّة: كالذّكاء، والتّخييل والتّفكير؛ يديرها ويقودها التّفكير الإنسانيّ وتتحكّم هي بدورها في المعرفة اللّغويّة، وعليه –يمكن القول- أنّ التوجّه اللّساني العرفاني يهتمّ بالمعنى بجميع أبعاده الوظيفيّة والتداوليّة.

ثمّ إنّ "تكوين الصورة الذهنيّة، أو المدركات الكليّة من خلال تحليل وتركيب المدركات الحسيّة، يحتاج إلى اللّغة لتحديد هذا المدرك وتثبيته"[3]، وبه يتمّ الترميز –في ثوب اللّغة الطبيعيّة المنطوقة- بشكل آليّ؛ أي منجز فعليّ لا يترتّب عن كيفيّة اشتغال الذّهن فحسب بل يعكس فهمنا للعالم؛ في عمل متعالق ناتج عن أفعال الفهم والخيال والذّكاء.

ويتّخذ الإنجاز الفعليّ للّغة -في العمليّة الاتّصاليّة- شكل تراكيب منجزة بزغت عن تنظيم ذهنيّ لمخزّنات تحتفظ بها الذاكرة تلتقي بما تصطدم به الحواس في الواقع الخارجي، ما يسبّب نوعا من التّفاعل تنشأ عنه اللّغة، ذلك أنّ (الألفاظ تعدّ قوالب تحمل المعاني، والطّفل (مثلا) إذا كوّن في ذهنه فكرة ما يحتاج إلى اللّفظ المعيّن لتثبيتها

وتحديدها)[4]، فيكون تعبيره عن الأشياء أو المواقف أو المشاعر أو الانفعالات مجسّد بنمط خاصّ به يوافق ما ارتسم لديه أو بذهنه.

اللّسانيّات المعرفيّة بهذا –إذن- فرع من اللّغويّات تتعامل مع اللّغة بوصفها ظاهرة نفسية ذهنيّة، وتربط ترميز المقدرة اللّغويّة بالدّماغ؛ فاللّغة وظيفة من ضمن وظائف الدّماغ الطبيعيّة الّتي يقوم بها.

1-1 علاقة اللّسانيّات بعلوم العرفنة:

تستدعي الدّراسة اللّغويّة أو اللسانيّات من منظور عرفنيّ –كما سبق الإشارة له- تداخل مفرزات ونتائج علوم مجتمعة؛ كالبيولوجية والعلوم العصبيّة وعلم النفس والعلوم الذهنيّة... وغيرها، تحقيقا لتفسير علميّ دقيق للغة؛ فـ(النظريّة العرفانيّة) جاءت نسبة إلى علوم العرفنة، وعلوم العرفنة: مجموعة علوم تشترك في مبادئ تنظيميّة أساسيّة معيّنة، أو كما أورد لها الزنّاد تعريفا بقوله أنّ "العرفانيّة جملة من العلوم الّتي تدرس اشتغال الذّهن، والذّكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة، وعلم النّفس، والذّكاء الاصطناعي، وعلوم الأعصاب واللّسانيّات، والأنثروبولجيا، وتدرس العلوم العرفنية الذكاء عامّة، والذّكاء البشري، وأرضيّته البيولجيّة الّتي تحمله، وتعنى كذلك بالمنولة، وتبحث في تجلياته النفسية، واللّغويّة والأنثروبولوجية"[5] وعلوم الأعصاب (علوم الدّماغ)، بحيث تتّحد هذه العلوم وتتعالق في ما بينها –على اختلاف درجة أخذ العلم من الثاني-كما سيشرحها المخطّط التالي:

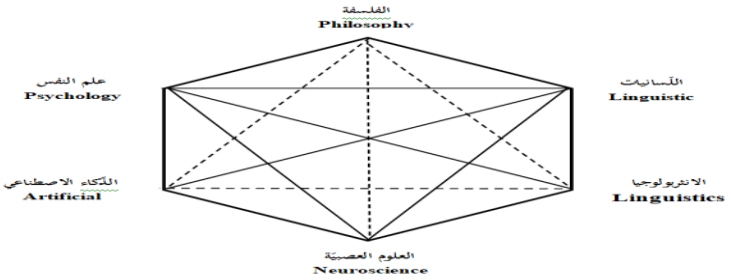

-مخطّط يوضّح العلاقات العرفنيّة البينيّة حسب تقرير (سلون) Sloan 1978-[6]

والشّكل أعلاه (هو عبارة عن مخطّط يبيّن العلاقات العرفنيّة البينيّة حسب تقرير (سلون) Sloan 1978)، بتمثّل طبيعة العلائق المتشابكة الّتي تجمع بين مختلف العلوم كما هو موضّح؛ حيث تمثّل الخطوط الرّفيعة (المتقطّعة) العلاقات الأقلّ قوّة، وأمّا البارزة الخشنة فتعكس العلاقة القويّة بين العلوم؛ وممّا يتّضح أنّ علاقة اللّسانيّات بسائر العلوم قويّة -كما هو في المخطّط- من خلال ربط اللّسانيّات بسائر العلوم بخطّ خشن؛ سواء بالأنثروبولوجيا أو العلوم العصبيّة أو علم النفس أو الذّكاء الاصطناعي، وهو ما يميّزها عن علائق بقيّة العلوم الأخرى-المتباينة- مع بعضها البعض؛ فنجدها مرّة بخطّ رفيع متقطّع وأخرى بخطّ خشن.

2-1 تصوّر العلاقة والتّفاعل الممكن بين دراسات العلم العصبي والمعرفة واللّغة:

لقد ساهم كل منهما في إثراء الأخر إذ (لا يمكن تمثيل المنبّهات بطريقة مباشرة ولكن لا بدّ من تحويلها إلى أبنية عصبيّة ورموز ذات معنى ودلالة يُطلِق عليها علماء النّفس المعرفي اسم التمثيلات الدّاخليّة Internal representation؛ المستوى الأوّل من مستويات المعالجة العقليّة تنطلق من المنبه المدرك وتتحوّل بفعل تأثيرها على الحواس إلى طاقة عصبيّة؛ تأخذ شكل التّمثيل الدّاخلي للشيء المدرك، ويكون ذلك بالفهم بعد الاتّحاد والتفاعل مع سياق المعلومات الواردة من البيئة فيتمّ الاستقبال والاستجابة (لطرفي الخطاب))[7]، فما يصدر عن الباث من رموز تُنقل مكتوبة أو منطوقة بمجرّد صدورها يتولّى -لا إراديّا- الطرف الثاني (المتلقّي) تشفيرها.

وتختلف التصوّرات الذهنيّة -عن الأشياء- عند البشر؛ فلكلّ فرد تصوّره الخاص، وهو غالبا تصوّر تسيّره مجموعة من العوامل المتعالقة تتفاعل فيما بينها (نفسيّة، عاطفيّة، بيئيّة، عقائديّة)، "فكلّ إنسان عندما يسمع اسما أو لفظا يستثار (نفسيّا) بالإحالة إلى مدلول ما هو مخزّن في دماغه من خلال شبكة التصوّرات الذهنيّة الموجودة هناك"[8]؛ بل حتى فيما يتعلّق بالأثر الّذي يحدثه؛ فقد يفرحه أو يحزنه، كما قد لا يبالي له.

فعندما أرى مشهدا بالحديقة؛ أنّ أحد أفراد عائلتي وقريبي من أمّي يقوم بغرس شجرة؛ وأقوم على الفور بالاتّصال بأمّي لأبلغها، فهنا لا يهمّني اختيار أصل أو فرع من العائلة فذهني يحتفظ بخالي وعمّتي وجدّي وابن أختي ...الخ، كما أنّ الأماكن كثيرة؛ فهناك المدرسة الّتي أعمل بها ومنزلي والحافلة والجامعة الّتي أدرس بها والبحر والحديقة، وأحداث كثيرة مرّت بي؛ أبصرت عجوزا يعبر الطّريق وشرطيّا يعاقب السّائق بسحب رخصة السيّاقة، وأختي تجرّب مقاس حذاء اختارته من المحل المقابل للحديقة...، ولكن من كلّ ما أدركته وما تحتفظ به ذاكرتي وما أملك القدرة على فعله؛ اتّصل بأمّي وأقول: "خالي بالحديقة العامّة يغرس أشجارا"، فـ(لغة الإنسان تبعا لهذا التصوّر، هي الجهاز المركزي الرّابط لمجمل العلوم العرفانيّة، بل إنّ الدّماغ البشري نموذج كوني مصغّر، ولذلك أمكننا الإفادة من العلوم الطبيعيّة مثل: الفيزياء الكونيّة والرياضيّات، في تطوير النّماذج اللّسانيّة المعاصرة)[9].

وقد حاول الكثير من الباحثين من علماء اللّغة إلقاء الضوء على الأساس العصبي لعمليّات اللّغة في الدّماغ البشري -كعمليّة مضمرة للدّماغ مسؤوليّة عنها- والّتي لا تقلّ أهميّة عن وظائف باقي أعضاء الجسم؛ لاستيعاب طبيعة نشاط الذّهن البشري في ممارسته اللّغويّة، ما حتّم الاستعانة بعلم النفس المعرفي وعلم دراسة المخ والأعصاب، إذ لم تعد مجالات علم النّفس (الذّاكرة، التفكير...)، مجالات تطرق من منظار المنطق أو الفكر المجرّد أو الآراء النظريّة، بل صارت هناك وسائط حديثة، ووسائل مبتكرة تقاس بها المجالات المذكورة أعلاه، كالمعرفة العصبيّة (neurocognition): و(هي تخصّص متطوّر عن توحّد بين علم النفس المعرفي والعلم العصبي، وبصفة خاصّة هي دراسة نظريّات العقل المتّصلة بالتذكّر، والإحساس والإدراك، وحلّ المشكلات، ومعالجة اللّغة والوظائف الحركيّة، والمعرفة) [10]، فتعنى بدراسة الآليات العصبيّة في الدّماغ البشري الّتي تتحكّم في فهم وإنتاج واكتساب اللّغة؛ أي البحث في تنفيذ العقل لعمليّات تنتج لغة مفهومة.

وهو ما كان وراء ظهور اللّسانيّات العصبيّة (neuro-linguistics) –بوصفه فرع من اللّغويّات يربط القدرات اللّغويّة بالدّماغ بعد أن كان هدفه التّركيز على دراسة اللّغة بعد أن يصاب الدّماغ- وتَوَلّدِ إشكاليّة البحث عن كيفيّة تمثيل المعرفة في الذّهن البشريّ، أو البحث في المراحل الّتي يتمّ خلالها معالجة المعلومات من اكتساب المعرفة إلى كيفيّة تمثّل المعلومات وتحويلها إلى علم ومعرفة لا ترتسم معالمها من دون لغة؛ أي في أيّ شكل يتمّ تمثيل المعلومات في الذّهن البشري؟

3- بنية المفاهيم (اللّغويّة)

يقصد بالمفهوم –بعيدا عن أيّ سياق- الفكرة المجرّدة عن الشيء؛ سواءً أكان واقعا حقيقيّا أم خياليّا، وعلى حدّ تعبير عبد الرحمن طعمة "المفهوم هو نتاج الوعي الإدراكي للإنسان، والمعنى هو نتاج الوعي اللّغوي"[11]، وبشكل عام المفهوم يعني الفكرة فإذا خُصّص شُحن بمعانٍ مُنتقاة تكون الذّاكرة غالبا قد خزّنت عنها الكثير.

ويُتعامل مع المفاهيم ضمن إطار معيّن؛ أي بحسب التخصّصات أو المجالات الّتي تنتمي إليها، في اللّغة (النقد، اللّغة، الأدب)، الرياضيات، الفلسفة، الفيزياء، الهندسة...الخ، في حين "إذا ظهرت الحاجة إلى التعبير اللّفظي عن هذا المفهوم فإنّ حاملي اللّغة النّاطقين بها يلجؤون إلى استخدام العبارات الاقتراضيّة الحرّة أو يلجؤون إلى التّفسير والشّرح"[12]، فغالبا ما تحضر الذهن –في وضعيات مختلفة- تصوّرات عن الموجودات (المفهوم ذهنيّا موجود) بينما تغيب اللّفظة فيُغَيَّبُ المعنى كليّا، وذلك لعدم وجود النّموذج المناسب (التمثّلات) الّذي من شأن الذهن استدعاؤه كصورة أو صوت أو حدث.

ويعدّ المفهوم الوحدة الفعّالة للذاكرة والمعجم الذهنيّ، وفعل الدّماغ والمعرفة، ومعظم المفاهيم تترجمها اللّغة؛ فالمفاهيم هي التوجّهات التي توجد في الدّماغ فتحفّز سلوكا أو تتّخذ قرارا؛ إذا تعلّق الأمر بالخاصّ أي في سياق معيّن أو مجال له مرجعيّة قبليّة عند الفرد، أو هي نوع من الحالات الذهنيّة البازغة عن الإدراك والمتعلّقة بالقدرات الفرديّة

كنوع من التصرّف الناجم عن العقل البشريّ؛ كأن تشاهد أحدهم يخشع في القيام بحركات معينة أو أفعال أو تصرّفات بصفة منتظمة أو اعتياديّة تكاد تكون آليّة، ستدرك فورا أنها طقوس خاصّة بانتماء الفاعل لها أو ديانته، أو أنّها جملة أفكار مجرّدة تكوّنت عن أوّل الاصطدام بالعالم الخارجيّ فنتج عنها مفاهيم عامّة، كالطّفل القادم من منطقة نائيّة ملتحقا بالمدرسة ولا يوجد من تعلّم من أفراد عائلته أو محيطه؛ وإن كان هذا المثال قد أكل عليه الدهر، لما يعرفه المحيط حاليّا من تغيّر بفعل التكنولوجيا وسرعة نقل وتنقّل كل جديد طرأ على السّاحة؛ فلم يعد مثل هذا الوضع ساريا.

وتشهد أنماطنا العصبيّة تغيّرات متواصلة موجبة غالبا مع كمّ الخبرات الجديدة فتمدّنا بمعلومات إضافيّة ورؤى[13] عن الموجودات؛ فالمفاهيم نماذج عن الأشياء مخزونة في دماغ الإنسان، والأساس العصبيّ للمفهوم يتضمّن تفعيل مجموعات نيوروبيّة كثيرة منفردة موزّعة على مناطق مختلفة من الدّماغ، لكنّها في الوقت نفسه تشكّل طاقما واحدا، ويُتوصّل إلى جميع هذه المناطق في وقت خلال التّنشيط عن طريق كلمة أو أيّة علامة أخرى[14]، فالمسؤول عن بناء المفاهيم لا يقتصر على الذّهن والذّاكرة والتّفكير فحسب؛ فهناك قوانين طبيعيّة تقاسمها المسؤوليّة.

1-3 الآليات الذهنيّة للمفاهيم:

وهنا نستعين بطرح مارك تورنر (مدخل في نظريّة المزج) (ما هي العمليّات الذهنيّة الّتي تفسّر مَا لَنَا مِن القدرة الآليّة على إنشاء "شيء إضافي من لا شيء")، أو بعبارة أخرى كيف تنتقل المفاهيم من مجرّد مدركات حسيّة إلى تصوّرات ذهنيّة ومن ثمّ تتجلّى في شكل قالب لغويّ بالغ الغاية؟ أو كيف تتأتّى التصوّرات الذهنيّة الّتي تشحن بها التراكيب اللّغويّة؟ وكيف تترجم المدركات الحسيّة؟

وبغرض فهم طبيعة نشاط العقل البشري في تعاطيه مع المعرفة -من منطلق ممارسته اللّغويّة -كان لابدّ من عقد علاقة مع علم النفس المعرفيّ وعلم دراسة المخّ والأعصاب، وهو ما نتج عنه تطوّرات علميّة لها وزنها في تاريخ البحث اللّساني في شقّه المعرفي (التفسير العصبي لجملة من الاستجابات...)، بل استدعى أنساقا ونظما معرفيّة أخرى تشترك في التفسير، هي: الفهم، الإدراك، الانتباه، التذكّر... وغيرها؛ للبحث في تنفيذ العقل لعمليّات تنتج لغة مفهومة، وهو مجال حديث ما يزال فيه البحث متواصل؛ يجمع بين ما يحكمه قانون الطبيعة الّتي تحكم تحوّل الدفعة العصبيّة وانتقالها من خليّة عصبيّة إلى أخرى، إضافة إلى مجموعة الإدراكات وأنماط التذكّر والأفكار وأنماط الفكر، فقد كان هدفها -بداية الأمر- التّركيز على دراسة اللّغة بعد أن يصاب الدّماغ.

1-1-3 العقـل:

شكّلت مسألة الرّبط بين الذهن والعقل ومختلف الأنشطة العصبيّة الفيسيولوجيّة اهتمام العلماء والباحثين اللّغويّين من المحدثين؛ ذلك أنّ تفسير كيفيّة أداء المخ لعمله شديد التعقيد، ويحتاج مستوى منهجيّا متقدّما في البحث، أو كما قال عنه روبرت سولسو: "إنّنا عندما نتحدّث عن العقل، فإنّنا نتحدّث عن الأشياء الّتي يفعلها الدّماغ، من قبيل، التّفكير، والأحداث القابعة في الذّاكرة، الإدراك، الفهم، والحكم، وكذلك في خبرات الحبّ، الشّعور بالألم، الرسوم البيانيّة لوصف العالم (...). وبهذا المعنى يتضمّن العقل جميع العمليّات الّتي يقوم الدّماغ بتنفيذها"[15]، بما في ذلك استخدام المعرفة المخزّنة وتوظيفها وتكوين المفاهيم، والتصوّر الذّهني، والإنجاز اللّغويّ...وغيرها.

أو كما قال عنه عطيّة سليمان: "العقل صندوق تتمّ فيه كلّ الأنشطة الذهنيّة الّتي تقوم عليها العلوم العرفانيّة، ومن بينها اللّسانيّات العرفانيّة الّتي تدرس العمليّات العقليّة المتّصلة باللّغة كإحدى مكوّنات هذا الصندوق، فتتأثّر اللّغة بكلّ خصائص العقل، ونشاطه كسائر العلوم العرفانيّة لأنّها جزء من هذا النّظام"[16]، ويضرب لنا صاحب كتاب سيكولوجيا عادات العقل والسلوكات الذكيّة (التعوّد العقلي) مثالا حول العمليّات العقليّة الّتي تتمّ على مستوى فصّي الدّماغ؛ بكتابة أسماء الألوان بألوان مغايرة لها، ثمّ محاولة قراءة ما كتب مع الزيادة في ريتم القراءة؛ سيتبدّى لنا حتما الصعوبة الناجمة عن تضارب وظيفتي كلّ من الشقّ الأيسر الّذي يريد قراءة الكلمات، والشق الأيمن الّذي يريد تحديد اللّون.

الشقّ الأيمن	الشقّ الأيسر
يقوم بكلّ ماله علاقة بالعمليّات العقليّة الّتي تتعامل مع:	1- يختصّ بالعمليّات العقليّة الّتي تستوجب تحليل وفهم الكلمات
1- تفسير الألوان وما تدلّ عليه.	المختلفة وإيجاد المعنى وتصنيف الأشياء...
2- الخيال وأحلام اليقضة	2- الترتيب المنطقيّ وتسلسل الأفكار والأرقام وما تعنيه...
3- المهام الّتي تتطلّب الإبداع والابتكار؛ كالرسم	3- تحليل وفهم الجمل والعبارات والأحداث
والموسيقى...إضافة إلى ما نشعر به من فرح وضيق وملل...	

العقل مصطلح يستخدم لوصف الوظائف العليا للدّماغ البشري على حدّ تعبير ضاري خميس العبّادي؛ يفعل يجادل، يحلّل، يراجع، يثور، يتعاطف،... ممّا يظهر من سلوكات البشر، (بفضل أدمغتهم الّتي تعدّ عبارة عن كتلة من النّسيج الدّهني والبروتيني يقارب (02%) من وزن كتلة الجسم، ولكنّه يستهلك (20%) من طاقته، يتشكّل من نحو مئة مليار خليّة، ولكلّ منها عشرة آلاف اتصال من الخلايا الأخرى، وشعيرات واصلة تنقل شحنات كهربائيّة بين الخلايا

(موادّ كيمياويّة) وتسمّى الموصلات العصبيّة؛ لكلّ منها مستقبِل خاصّ ينقل رسالة محدّدة (انتباه، فرح، تحفيز، غضب، ... وكلّما تعلّم الفرد شيئا جديدا أو مرّ بتجربة أو اكتسب مهارة أو عادة يتمّ اختزان ذلك في دماغه، وعدد خلايا المخّ هي أقرب ما تكون ثابتة، تزيد عدد الوصلات إليها كلّما درّب الإنسان نفسه واجتهد دماغه بالتّفكير ما يؤدّي إلى مقدار أكبر من الاستيعاب ويرفع من درجات الذّكاء)"[17]؛ من خلال الخبرة الّتي يحلّيها الفرد إلى الموقف.

3-1-2: الذّكاء:

لا يمتلك الأفراد المعارف طبيعيّا، وإنّما يكتسبون الخبرات والمعلومات لا لأجل استرجاعها فقط عند الحاجة إليها، وإنّما حتى يستطيعوا الاستعانة بها في ظروف مشابهة للّتي يعرفونها أو يولّدون أخرى في مواقف تشابهها أو تختلف عنها أو ذات المواقف المكرّرة ولم يجيدوا التعامل معها فيستدركوا -حتما- ما فاتهم خلالها سابقا، إذ "يدرك الكائن البشري أنّ الطرائق والعمليّات الّتي يستخدمها لفهم المعطيات لم تعد كافيّة، وأنّه بحاجة إلى وسائل ذهنيّة أخرى. ويتحرّر التلميذ من الواقع المحسوس إلى إدراك النظريّات والمبادئ ويسمّي "بياجه" هذه المرحلة بمرحلة التّفكير الفرضي الاستدلاليّ، وتعتمد العمليّات الذهنيّة في هذه المرحلة على الفرضيّات والتصوّرات، وليس فقط على الأشياء المحسوسة. ويدرك الرّموز القائمة على التصوّرات الذهنيّة"[18]، بالعودة دائما إلى العالم الخاصّ وبالمبادرة الفرديّة، وإلّا فإنّه لا يمكن الحكم بامتلاك المعرفة في مجال ما، أو بلوغ مرحلة الفهم من التعلّم.

ثمّ إنّ "الفهم المعرفي يتحدّد بقدرتهم (أو نقصها) على توليد تنبيهات أو إشعارات أو نماذج شخصيّة للمعلومات. وتعدّ هذه النقطة بالغة الأهميّة بالنّسبة إلى الدّماغ"[19]، تتعلّق بالخبرة الّتي يضفيها الفرد إلى الموقف، فنحن نقوم مثلا بتحديد شيء بواسطة جمع معلومات غالبا في أقلّ من ثانيّة عن الحجم واللّون والشّكل ونسيج السّطح والوزن والرّائحة والحركة، فالمواضيع على اختلاف طبيعتها تحتاج إلى التّجزئة وإلّا فلا يمكن الإحاطة بها، وهو فعل لا يشعر الفرد به وإنّما يرجع إلى آليّات طبيعيّة تعدّ كمرحلة سابقة لتكوّن الفكرة.

3-1-3 التذكّر:

لقد كان لأجهزة قياس نشاط المخ (الرّنين المغناطيسي الوظيفي FMRI أو مخطّط أمواج الدّماغ EEG، أهميّة بالغة في إثبات فرضيّات علماء النفس المجرّدة، ودعمها بالتجريب، فاستعانة الأطبّاء بالأجزاء المتوقّفة من المخ مكّنهم من التعرّف على مسؤوليّة هذا الجسم فيما يتعلّق باللّغة واللّغة والدّماغ البشريّ)، ومنه فـ"إنّ التكوينات الفرضيّة (hypothetical constructs) من قبيل أنماط الذاكرة لم تعد تكوينات حدسيّة (conjectural) بل أصبحت على ما يبدو ذات أسس عصبيّة فيسيولوجيّة محدّدة، وذلك بسبب جهود علماء النّفس العصبي (neuropsychologists). وعندما ننظر إلى أبنيّة المخ المجهريّة الّتي تعرف باسم الشّبكات العصبيّة (neuronetworks) نجد أنّها على ما يبدو ذات صلة بالمكوّنات الكبرى للمعرفة الإنسانيّة مثل: التذكّر، الإدراك، وحل المشكلات وما شابه ذلك"[20]، فعمليّات التذكّر تخضع لتجارب معرفيّة، لكن تبقى قائمة على الافتراضات حتّى يثبتها البحث العلميّ والتّجارب العلميّة على الدّماغ وتدفّق السّائل الدّماغي في مناطق محدّدة يُزعم مسؤوليتها عن التذكّر.

والسائل الدّماغي دليل على النّشاط العصبي، ولإثبات ذلك كان لابدّ من الاستعانة بتجارب علماء الأعصاب أي العودة إلى الأساس الجسمي؛ وهو ما ضمن من خلاله المعرفيّون صدق تصوّر تدفّق السّائل الدّماغي في مناطق مسؤولة عن التذكّر وعلّلها علماء الأعصاب جسميّا من خلال الملاحظة، وقول النظريّة المعرفيّة بوجود أنماط من التذكّر في مناطق معيّنة من الدّماغ.

عندما تحتفظ الذاكرة بكمّ من المعلومات لفترة أطول لا يزيحها إلّا معلومات جديدة لتتابع العناصر اللّفظيّة الّتي يتكوّن منها الحوار؛ وهو ما يُعتمد عليه أثناء الحوار، ممّا يزيد اللّغة وضوحا ودقّة؛ فالذّاكرة مثل الكأس كلّما امتلأت فاض وطرح ما بداخله واستبدله، أو اختلط بما صبّ فيه جديدا؛ لذا نجد غالبا ما يفد إلى الذّاكرة –سواء من الخبرات النّاتجة عن التعلّم أو عن التّجارب الجديدة- يساهم في الإبداع أداءً، وتطوّر الألفاظ وتغيّر المفاهيم وقوّة الإدراك، ونحو ذلك: فلا يمكن النظر إلى الكتاب على أنّه قالب حلوى أو القلم على أنّه سكّين أو إلى حجرة الدّرس على أنّها حافلة... وغيرها من الأمثلة.

4-1-3 التفكير:

إنّ اللّغة نتاج اشتراك آليات جمعت بين العقل كميزة بشريّة مرتبطة بالنّشاط العصبيّ الفيسيولوجيّ، والتفكير كحتميّة ترافقه، وما هو مخزّن في الذاكرة وكيفيّة استعادته واستخدامه وتوظيفه؛ من تصوّرات عن العالم الخارجي، سواء تعلّق الأمر بالمدركات أو الخبرات، وهذا يعني أنّ (الكلام -بوصفه إنجاز إنسانيّ- له مستقرّ في دماغ الإنسان، والجملة هي ما عبّرت عن فكرة تامّة)[21]، فما يرتسم في شكل لغة منطوقة أو مكتوبة إنّما هو ترجمة لما يدور بالذّهن من فكر، و(هو راجع إلى قدرة الإنسان على تحويل الأفكار إلى رموز يفكّر بها (يرمز ليفكّر)، فيخرج فكرة في صورة لغة نسمعها تشير إلى ناتج عمليّة التّفكير)[22]، الكلام –إذن- ترجمة فعليّة ومجسّدة عن نشاط الفكر وما تحمله الذّاكرة.

فالكلام على حدّ تعبير سناء البياتي معمل إنتاج الجمل، إذ أنّه بمجرّد انبثاق الأفكار يتّخذ الدّماغ قرار التّعبير عنها باللّغة، وهو ما تسمّيه الباحثة مرحلة الصّفر، و"الصّفر في اللّغة هو المرحلة الماثلة من انبثاق الأفكار والجمل المعبّرة عنها، وبعبارة أخرى هو مرحلة تأسيس الجمل في الدّماغ على وفق نظام معيّن مستقرّ فيه وهذا النّظام يرثه الإنسان كما يرث نظما متعدّدة لإنجاز فعالياته المختلفة"[23]؛ وكأنّه البعث بالفكرة إلى معمل التّصميم والتركيب والإنتاج، وبالتّالي فالمرحلة السّابقة لمرحلة الصّفر هي مرحلة سالبة مثّلت ما دون الصّفر إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ مرحلة الصّفر تلي مباشرة انبثاق الأفكار في حين يمثّل إنتاج الجمل أو مرحلة الكلام المنجز الرحلة الموجبة.

الأفكار======= **-0** ======= مرحلة الصفر **0** ======= الجمل المعبّر عنها **+** ما بعد الصّفر

لابدّ أيضا من الإشارة أنّه ليست بالضرورة أن تكون كلّ المواقف والأحداث والانفعالات والمجسّمات قد سبق أن مرّت بالطرف الثاني أو شهدها أو انفعل معها، ولكن جملة مؤشّرات تسبّبت في توجيه الذّهن إلى مفاهيم بحالها، ولعلّه السبب في استعانة أساتذة التّعليم المتوسّط في ميدان فهم المنطوق بجملة من الصّور أو المجسّمات أو الفديوهات أو الأشرطة...وغيرها، ممّا يجعل المتعلّم ينفعل مع هذه المحسوسات فيستجيب، وتبدأ لغته في التدفّق وهو يسرد وكأنّه على دراية وذو خبرة بهذه المواقف أو عايشها، ويبرّر عطيّة سليمان هذا بقوله "الحقيقة أنّنا كي نمتلك اللّغة فإنّنا جئنا إلى العالم مزوّدين بقدرات فطريّة جينيّة أعطتنا القدرة اللغويّة"[24]؛ فالفرد يترجم ما يفكّر به رموزا حسب لغته الأمّ، إضافة إلى الذّكاء كنتاج ازدواج وراثيّ أو مفتعل -بفعل الإقبال على التكوين الذّاتي- ما من شأنه المساهمة في التمثّلات الذهنيّة كسند يرتكز عليه الترميز اللّغويّ، فـ"التفكير بحاجة إلى أداة أساسيّة تعبّر عنه هي اللّغة والرّموز، كما أنّه من أدوات التّفكير –من حيث كونه وظيفة عقليّة- الألفاظ ودلالتها ومعانيها أو مقابل ذلك من صور لفظيّة ورموز تحلّ محلّ الأشياء والمواقف"[25]، بتضافر كل من: الإحساس، الإدراك، الانتباه، التعلّم، التذكّر، تكوين المفاهيم، التصوّر الذهني، التخيّل، اللّغة، الذّكاء والانفعالات، وهي جملة مرتكزات –كما تمّ ذكرها- تعدّ فطريّة عند كامل البشر.

2-3 تكوين المعرفة وبناء التصوّرات:

يمكن الانطلاق من التخطيط التالي؛ لتسهيل عمليّة استيعاب هذا العنصر من البحث:

المعرفة= إحساس ← إدراك ← تذكّر (استدعاء لخبرات سابقة) ← دعم العمليّات الفيزيائيّة النّاتجة عن نشاطي الذّهن والجهاز العصبيّ

فـ"الإنسان لا يباشر العالم بشكل فوضويّ بل يخضعه لنظام يرتّب ما يبدو مشتّتا غير مترابط، فيقوم بتصفيته، وترتيبه، وتبويبه"[26]؛ ذلك أنّ التّراية بالدّلالة تتحقّق عندما يبعث المتكلّم بخطاب مخصوص إلى فئة معيّنة أو إلى كافّة مَن مِن شأنهم تلقّيه؛ فينتقي المصطلحات المشحونة بمعانٍ دون غيرها (وإن كان المصطلح متغيّر غير قار)، إضافة إلى ما يصحب ذلك من عمليّات طبيعيّة كامنة في نشاطي الذّهن والأجهزة العصبيّة.

لقد أثّر علم النّفس المعرفي وعلم الأعصاب كلّ منهما بالآخر، لذا كانت الأدلّة الحسيّة أو مجموعة التّبريرات العلميّة لعلم الأعصاب دليلا قويّا أمام التّشكيك في صحّة عديد الفرضّيات المتصوّرة، من خلال الرّبط بين نشاط الخلايا العصبيّة والنّشاط والسّلوك المعرفيين.

ولم يكن العلم المعرفي المستفيد الوحيد، فقد كان للدّراسة البينيّة فضلها أيضا على العلم الجسمي من خلال تفسير علاقة الأمراض السلوكيّة (فقدان الذاكرة، الجنون، الحبسة...)[27]، وربطها بالدّماغ (الصّدمات، الأعطاب، الأورام، الجلطات، الكسور...)، وحسب سناء البياتي فإنّ لعالم اللّغة مرتبة ساميّة بعد النظريّات الحديثة قد تبلغ درجة التطبيب في مساعدة الطّبيب على المداواة في حال إصابة أيّ جزء من الدّماغ يكون مسؤولا عن اللّغة، (فقد يصاب دماغ الإنسان ويتسبّب هذا في عدم قدرته على تحديد العلاقات بين الأشياء، أو يختار الكلمات فلا يُسمع من المصاب إلّا ألفاظا متناثرة مستعملة أو غير مستعملة تشبه الهذيان)[28]، أي استفاد الطبّ العضويّ من البحث النفسي والعلاج النفسي من الطبّ العضويّ فيما تعلّق بـ(استخدام الوظائف العصبيّة في شرح وتكوين تصوّرات العقل النظريّة).

كما قد تتعطّل المنطقة الخاصّة بمرحلة تحديد المعاني الذهنيّة، (فتكون الفكرة موجودة في ذهن المصاب بمحتوياتها والكلمات كلّ واحدة منها صحيحة، ولكن ليست ثمّة تحديدا للعلاقات الرّابطة بينها، كما في حال الخوف والهلع يكون للمتكلّم خلل في اختيار الكلمات المستعملة للمعنى المعبّر عنه بفعل سرعته في التكلّم، وخلافا لما يحدث إذا تعطّلت عند المصاب منطقة الإيعاز إلى جهاز النطق فقط؛ إذ يستطيع التّعبير عنه أفكاره كتابة لا نطقا لأنّ منطقتي انبثاق الأفكار وتحديدها سليمتين وتعملان بانتظام وكذا منطقة اختيار الكلمات، وإنّما العطل في منطقة محرّك جهاز النّطق لذلك فهو يستطيع كتابة ما ينتجه ولكن لا يستطيع نطقه)[29].

3-2-1 الإدراك:

إنّ الذّكاء (وسيلة إجرائيّة لربط ما هو متوفّر ذاتيّا بما يجري خارجيّا)، فهو حاصل توليفة نوع الإدراك+ سرعة الإدراك+ سرعة الاستجابة المطلوبة؛ يرتكز بشكل لافت على الإدراك الّذي موطنه -بدون شكّ- الدّماغ؛ لما تعلق به من الإحساس بالشيء، (ويتمّ الإحساس عادة بإحدى الحواس المتوفّرة للإنسان، أمّا الفهم فيحدث بربط محتوى الإحساس وموضوعه، وحسب علماء النّفس والتربيّة "إنّ الإدراك هو فعل بناء الدّماغ لخارطة. وتتضمّن هذه العمليّة بنى دماغيّة مسؤولة عن التّصنيف والتّمييز وإعادة الجمع"[30]والفهم في الآن ذاته.

والإدراك الحسّي (perception) يتعلّق بإرسال الحواس نبضة كهربائيّة إلى الخليّة العصبيّة الملائمة لها في الدّماغ، يتمّ الاتّصال بينها عبر فجوات صغيرة الحجم (Gaps) بواسطة محفّزات كيماويّة تُفرَزُ من نهايات الأعصاب[31]، أي استقبال الشيء بالحواس ثمّ استيعابه الكيميوحيوي، ويكون مؤقّتا وموازيا لما يسمّى بالذّاكرة القصيرة، أو طويل المدّة، شبه دائم بصيغة ما يعرف بالذّاكرة الطّويلة[32]، والإدراك بهذا الوصف –إذن- هو أساس بناء المفاهيم والتصوّرات وربطها بمعالجة الدّماغ وإنتاج اللّغة.

3-2-2 الإنتاج اللّغوي:

إنّ التّواصل اللّسانيّ وحده من يسدّ فجوات العلامات اللّغويّة من دلالات مفقودة ووحدات معجميّة غير موجودة؛ وبالتّالي يتحقّق التكامل المعرفي المراد بلوغه، فلكلّ إنسان تصوّره الخاصّ عن الأشياء، وهو غالبا تصوّر نفسيّ يتغيّر وفق ما يحدثه من تفاعل بين ذهنيّة الإنسان وخبرته وتكوينه ومحيطة ...الخ.

فالتّراكيب اللّغويّة لا تحيل على تصوّر ذهنيّ عن الشيء مباشرة، بل ينجم عن تضافر جملة الآليات سالفة الذّكر كالذّكاء، والتّذكّر، والتفكير، و(حتى يمتلك الفرد القدرة الذّكائيّة الحاليّة، يتوجّب منه بالمقابل إدراك الشيء أوّلا ثمّ الإسراع في الاستجابة لمتطلّباته)[33]؛ لذلك يختلف الأثر الّذي تحدثه التراكيب من شخص إلى آخر.

3-2-3 مراحل إنتاج الجمل ذات المعنى العام:

تتمّ المعالجة النحويّة بتحديد المعنى العام للفكرة (الجملة) ثمّ ربط أجزاء الفكرة بما تقتضيه من العمليّات العقليّة الرّئيسة الكبرى المشتركة في جميع اللّغات المنظّمة، وهي (الإسناد والتخصيص والإضافة والتّوضيح)، ثمّ اختيار الكلمات المناسبة، فـ"معالجة الوحدات اللّغويّة وإنشائها لا تخصّ نشاط الإنسان اللّغوي فحسب، وإنّما مختلف الأنشطة الّتي يقوم بها في كلّ ميادين المعرفة، حتّى في حياته اليوميّة، ومن بين هذه القدرات يمكننا أن نذكر: قدرة الإنسان على إنشاء تصوّرات منظّمة وتشكيلها"[34]، ويتمّ الرّبط بين أجزاء الفكرة بتنظيم هرمي رأسه (منطقة بروكا) مركز المعالجة النحويّة.

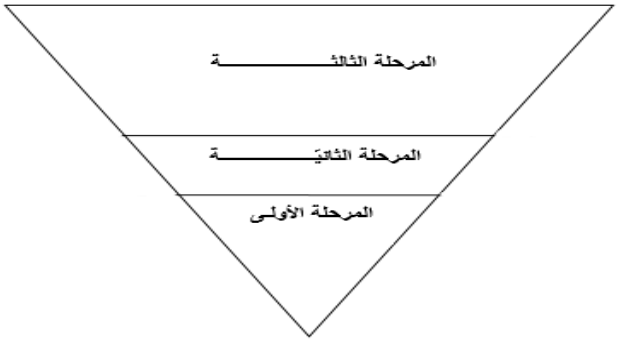

-شكل هرمي يوضح مراحل إنتاج الجمل-

ويمكن عدّ مرحلة إنتاج الجمل أعلى مراتب الترميز بعد الإدراك الحسي أي الإخراج في قالب لغويّ سليم نحوا وصرفا ومعجما وتركيبا وحتى صوتا، وتمثّلها **المرحلة الثالثة** كآخر مرحلة، فشكلا يتمّ تركيب الجمل وإنتاجها عبر مراحل ثلاث مرتّبة تصاعديّا، أمّا مفهوما فإنّ المرحلة **الثالثة** تسبق **الثانيّة** التي تتعلّق بانتقاء الألفاظ واختيارها، ذلك أنّ الذاكرة تحوي مخزونا متنوّعا من المعارف يخوّلها التعاطي لغويّا مع فضاءات مختلفة، وبالتّالي فإنّ وجودها كان سبّاقا، وبالرغم من ذلك لم يحل الاهتمام إليه إلّا بعد ثبوت ما أطلق عليه **بالمرحلة الأولى** المتمثّلة في اصطدام الحواس بالعالم الخارجيّ، تليها مباشرة مرحلة التفاعل والانتقاء **(المرحلة الثانيّة)**؛ والّتي لا تتمّ من دون العودة للمخزون المتنوّع بالذّاكرة.

إنّ اللّغة نتاج عقل الأمّة، رغم "أنّ العقول تميل إلى أن تكون أكثر نشاطا وديناميّة، فإنّها أيضا ذات اتّساق وتناغم واستقامة وثبات على مبادئ محدّدة، فأسلوبنا العام في التّفكير واتّجاهاتنا نحو أديانا وعقائدنا وطموحاتنا، ونظرتنا للأسرة (...) كلها وظائف مستقرّة وثابتة"[35] جعلت الذّهن يتوجّه إلى انتقاء لفظة دون غيرها ممّا كان له دراية سابقة به.

وبإمكاننا أن نستدل من خلال اللّغة على مستوى التنظيم في عقل الأمّة الّتي أنتجتها، وفي توزيع العلامات على الكلمات في اللّغة العربيّة دليل على أنّ الأمّة الّتي أنتجت هذه اللّغة يتميّز عقلها بقدر كبير من الدقّة والتنظيم[36]؛ فالاستعمال (الإنتاج) اللّغوي يتعلّق بالمعنى، والمعنى مرتبط بالسياق والسياق مرتبط بمقصديّة المتكلّم الّذي تحكمه ظروف نفسيّة؛ وهي من وظائف العقل البشري؛ والعقل البشري يتعامل مع الفهم والفهم مرحلة تتمخّض عمّا تصطدم به الحواس مع العالم الخارجي وما تحتفظ به الذاكرة، وهنا لابدّ من استرجاع فكره مرحلة (الصفر) على حدّ تعبير سناء حميد البياتي كما سبق التطرّق إليه.

إنّ من مبادئ التوجّه العرفاني العمل على معرفة علاقة الذّهن البشري بالبيئة وموقفه أو تعامله مع الموجودات، (فيمدّنا بمعلومات عن الكيفيّة الّتي يشتغل بها النّسق التصوّري للبشر)[37]، فتتشكّل الأنساق التصوريّة الّتي تحدّها منظومة المفاهيم تترجمها كمرحلة أخيرة اللّغة، والّتي يمنحها العرفانيّون وظيفة مقدّسة ممثّلة في تشكيل مفهومنا للواقع.

4- البناء الذّهني للمفاهيم والتصوّرات من منظور اللّسانيّات العرفانيّة:

تكوّن المفاهيم بحثا يستدعي التسلّح بمعرفة بينيّة متداخلة تنهل من مجالات عديدة (الطب، الفلسفة، اللّغة...)، ومسألة بحث المفاهيم وتكوّنها في الذهن ليست بالطّرح الجديد فقد سبق لعلمائنا الأجلّاء من القدامى طرق هذا الشقّ ولعلّ أبرزهم "حازم القرطجني"، فكيف يكوّن الذهن البشريّ المفاهيم حول الموجودات في العالم؟

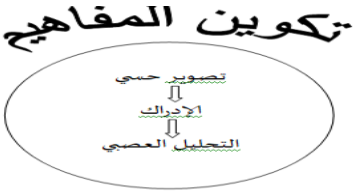

"ولأنّ كلّ مكوّنات تصوّر معالجة المعلومات تتّصل ببعضها البعض عضويّا ووظيفيّا فيكون من الصّعب تحديد المرحلة الأولى، ولكن من أجل فهم أكثر ملاءمة يمكننا أن نفكّر في تعاقب هذه المراحل بحيث يصبح إدخال المنبّهات أو ورودها هو نقطة (البداية)"[38]، وإن كانت صاحبة نظريّة الصفر قد فصلت في الأمر، ثمّ إنّ "عالم الاعتقاد الّذي يبنيه المتكلّم في فكره هو الّذي يوجّه عمليّة فهم البنية اللّغويّة وتأويلها عند المخاطب"[39]، وهنا لابدّ من الإشارة إلى جملة من المؤشرات أو المنبهات الّتي جعلت الذّهن يتوجّه إلى انتقاء لفظة دون غيرها ممّا كان له دراية سابقة به؛ فقد استمدّ المخاطب كلماته من الذاكرة طويلة المدى؛ ولابدّ أيضا من الإشارة أنّه ليست بالضرورة أن تكون كلّ المواقف والأحداث والانفعالات والمجسمات قد سبق أن مرّت بالطرف الثاني أو شهدها أو انفعل معها، ولكن جملة من المؤشّرات من تسبّبت في توجيه الذهن إلى مفاهيم بحالها (كما أشير إليه سابقا).

فبناء المعنى عمليّة ذهنيّة من فعل المتكلّم كمرحلة تسبق الصوّر اللّسانيّة المتنوّعة المحسوسة المفتوحة على التفسير والتّأويل (حسب ما توصّل إليه جورج لايكوف ورونلد لانفكار، وفوكونيي (Fauconnier))، ثمّ إنّ "العلاقة بين الوحدات المعجميّة والدّلالة متزامنة ولا معنى للفصل فيها. بل لا معنى أيضا للفصل في القيمة الدلالية للبنية بين الدّلالي والتداولي"[40]، فللدّلالة اللّغويّة علاقة بانتظام الفكر؛ ذلك أنّ الأبنيّة اللّغويّة مجرّدة تحكمها علاقات نحويّة (شكليّة وتركيبيّة)؛ إذ يمتلك جلّ الأفراد القدرة على تركيبها، أمّا الدّلالة وعلى رأسها مقصديّة المتكلّم تحتاج إلى التّحليل والتفسير في ظلّ الاستعارة والمجاز والتلاعبات الكلاميّة، فكيف يبنى المعنى داخل الأبنيّة اللّغويّة المنجزة؟

وهذا التساؤل حول تأويل الأبنيّة اللّغويّة قد تمّ طرحه من أكثر من شقّ بحثيّ وجانب دراسيّ ومجال علميّ؛ ممّن يتّخذ اللّغة مادّة للدّراسة والفحص والتّمحيص.

إنّ شكل المعاني وليد حركة ذهنيّة تتقدّم تحقّقها الفعليّ تراكيبيّا؛ لفظا وجملا، فـ"المعنى لا يعدو أن يكون إلّا تصوّرا معيّنا، ومعنى عبارة ما إنّما هو ذاك البناء أو التّشكيل الخاصّ الّذي تفرضه العبارة على مشهد تصوّري"[41]؛ فاللّغة تسهم -حسب هذا القول- في تكوين جهاز مفاهيميّ وبيئة تصوّريّة؛ إذ ترتسم المفاهيم وبالتّالي تستدعى المصطلحات –من منظور لسانيّ عرفانيّ- أي بناء صورة أو انبثاق فكرة ومن ثمّ تمثّلها في الذهن ثمّ ترميزها في منجز لغويّ.

-خاتمة:

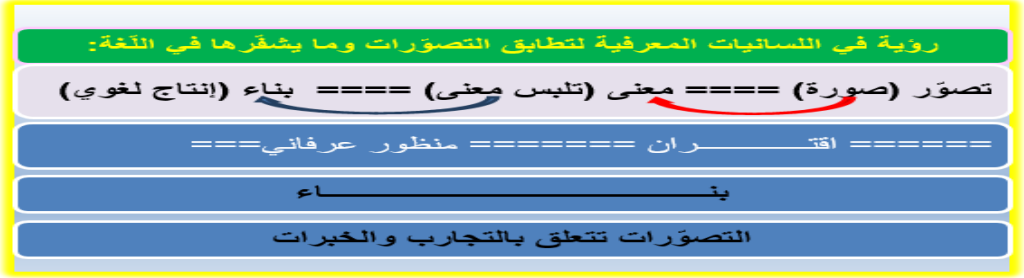

لقد كان لابدّ من التوغّل في الدّراسات الّتي أولت الدّماغ اهتماما والّتي قد لا يرى لها الدّارس في مجال اللّغة والأدب دخلا؛ ذلك أنّ البحث في مجال اللّغة تجاوز تلك الإنتاجات التعبيريّة ذات القوّة الإبداعيّة، والجماليّة الفنيّة، والهندسة العلميّة، إلى إشكاليّة تسبق حدود الإخراج اللّفظي الاستعمالي، أو البحث في مرحلة أولى لبداية الفكر، ومن ثمّ انتقاء الألفاظ واستعارة العبارات لتأويل المدرك الحسيّ (بوسيط رمزيّ)؛ يتيح للفرد تبادل الخبرات والمعارف

ونقل المشاعر، وتقاسم الآراء بمختلف السّبل التعبيريّة الّتي يسمح بها قانون اللّغة مباشرة أو رمزا أو استعارة أو تشفيرا، لتكون بذلك انتقالا إلى طرف مرحلة إنتاج (مدرك حسي) لدى متلق لها يؤوّلها وفق السيّاق (الاتّفاق)؛ فلا يمكن للعبارات منعزلة أو الألفاظ منفردة أن تبلغ مبلغ الغاية المرجوّة من اللّغة (التّواصل).

ومن النتائج المتوصّل إليها:

1- النظريّة العرفانيّة طرح حديث انبثق عن اتّحاد جملة من العلوم المعرفيّة البينيّة، واصطبغ بتصوّرات علوم العرفنة كالأعصاب والحاسوب والذّكاء الاصطناعي، قائمة على إيلاء المعنى أهميّة قصوى، وتبنّي فكرة اللّغة ملكة معرفيّة؛ قدرة يمتلكها الإنسان كغيرها من القدرات العقليّة وبالتّالي مركزها الدّماغ، ذات وظيفة أسمى من التّواصل هي تشكيل للموجودات؛ ترميز العالم.

2- المنظور العرفاني تمخّض عن التّعالقات العلميّة بين اللّسانيّات العرفانيّة وعلوم أخرى.

3- تهتمّ اللّسانيّات العصبيّة بدراسة اللّغة وربطها بنشاطي الذّهن والدّماغ

4- إنّ المقاربة العرفانيّة تجسّد الطابع البيني للدّراسات اللّغويّة الحديثة المتقدّمة، ما من شأنه فتح أبواب أوسع لمجالات علميّة أخرى لتتكبّ على دراسة اللّغة البشريّة.

5- الاتّساع المعرفي والاهتمام بالتعمّق في موضوع الدّراسة والميول إلى التّجريب.

6- بناء المفاهيم قائم على الاستناد إلى مجموعة آليّات متعالقة: العقل، الذّكاء، التفكير، التذكّر.

7- يعدّ المفهوم الوحدة الفعّالة للذاكرة والمعجم الذهنيّ وفعل الدّماغ، والمعرفة، ومعظم المفاهيم تترجمها اللّغة.

8- بناء المفاهيم لا يقتصر على الذّهن والذّاكرة والتّفكير فحسب؛ بل هناك قوانين طبيعيّة تقاسمها المسؤوليّة؛ تتحكّم في فهم وإنتاج واكتساب اللّغة.

9- الإدراك هو أساس بناء المفاهيم والتصوّرات؛ يرتبط بنشاط الدّماغ وإنتاج اللّغة.

10- إنتاج الجمل أعلى مراتب الترميز ويمرّ في ثلاث مراحل؛ من الإدراك الحسي إلى الإخراج في قالب لغويّ سليم نحوا وصرفا ومعجما وتركيبا وصوتا.

-قائمة الإحالات:

1- ينظر: عطيّة سليمان أحمد، اللّسانيّات العصبيّة (اللّغة في الدّماغ-رمزيّة عصبيّة عرفانيّة)، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، 2019، القاهرة، ص:17

2- حنان كرميش ويوسف منصر، تلقّي اللّسانيّات العرفانيّة في الخطاب اللّساني العربي (الأزهر الزنّاد ومحمّد الصّالح البوعمراني أنموذجا)، حوليّات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، د.مج، ع:27، ديسمبر2019، ص:147.

3- نوال محمد عطيّة، علم النفس اللّغويّ، المكتبة الأكاديميّة، ط:03، 1995، القاهرة، ، ص: 18.

4- ينظر: ن.م، ن.ص.

5- الأزهر الزناد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، دار محمد علي للنّشر، منشورات الاختلاف، ط:01، ص:15.

6- ينظر: عبد الرحمن محمد طعمة، تقرير "سلون" 1978 وبزوغ العلوم البينيّة، أغسطس2020، تاريخ الاطّلاع: 10فيفري2022، الساعة10:0
https://elmqal.com/%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%B3%D9%84%D9%88%D9%86-1978%D9%85-%D9%88%D8%A8%D8%B2%D9%88%D8%BA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9

7- ينظر: روبرت سولسو، علم النفس المعرفي، ص:11.

8- عبد الرحمن محمد طعمة، البناء الذهني للمفاهيم (بحث في تكامل علوم اللّسان وآليات العرفان)، دار كنوز المعرفة العلميّة، د.ط، الأردن، 2019، ص:125.

9- ينظر: عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، دراسات في اللّسانيّات العرفانيّة (الذهن واللّغة والواقع)، دار وجوه للنّشر والتّوزيع، ط1، السعوديّة، ص:17.

10- ينظر: روبرت سولسو، علم النفس المعرفي، ص:52 وص:58.

11- عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم، ص:105.

12- ن.م، ن.ص.

13- ينظر: إيريك جنسن، التعليم المستند إلى الدّماغ (النموذج الجديد للتدريس)،تر: هشام سلامة وحمدي أحمد عبد العزيز، دار الفكر العربي،ط.01، القاهرة، 2014، ص:252.

14- ينظر: عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم، ص:97.

15- روبرت سولسو، علم النفس المعرفي، ص59.
16- عطيّة سليمان أحمد، الاستعارة القرآنيّة والنظريّة العرفانيّة، وكليل كليّة التربيّة، جامعة السويس، رئيس قسم اللّغة العربيّة، حقوق الطّبع والنشر للمؤلّف، د.ط، د.ب، د.س، ص:56.
17- ضاري خميس العبادي، سيكولوجيا عادات العقل والسلوكيات الذكيّة (التعوّد العقلي)، مكتبة اليمامة للطّباعة والنشر، د.ط، بغداد، 2019، ص:32 وص:33.
18- مريم سليم، علم تكوين المعرفة (إبستمولوجيا بياجه)، معهد الإنماء العربي، ط:01، بيروت، 1985، ص:200-201.
19- ينظر: إيريك جنسن، التعليم المستند إلى الدّماغ (النموذج الجديد للتدريس)، ص:272.
20- روبرت سولسو، علم النفس المعرفي، ص:62.
21- ينظر: سناء حميد البياتي، اكتشاف (الصفر) في اللّغة ونتائجه على النّحو العربي، مركز إحياء التراث العلميّ العربيّ، جامعة بغداد، 2005 نشر:2020، د.ط، ص:02.
22- ينظر: عطيّة سليمان أحمد، اللّسانيّات العصبيّة (اللّغة في الدّماغ رمزيّة، عصبيّة، عرفانيّة)، ص:92.
23- سناء حميد البياتي، اكتشاف (الصفر) في اللّغة ونتائجه على النّحو العربي، ص:01.
24- عطيّة سليمان أحمد، اللّسانيّات العصبيّة (اللّغة في الدّماغ رمزيّة، عصبيّة، عرفانيّة)، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، م.ط، 2019، ص:90.
25- ن.م، ص:110.
26- محمد الصّالح البوعمراني، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفاني، مكتبة علاء الدّين، صفاقس، 2009، ص:122.
27- https://www.youtube.com/watch?v=f2IiMEbMnPM&t=20s
28- ينظر: سناء حميد البياتي، اكتشاف (الصفر) في اللّغة ونتائجه على النّحو العربي، ص:25-26.
29- ينظر: ن.م، ص:25-26، 27.
30- نظر: إيريك جنسن، التعليم المستند إلى الدّماغ (النموذج الجديد للتدريس)، ص:272.
31- ينظر: عامر إبراهيم علوان، تربيّة الدّماغ البشري وتعليم التّفكير، دار صفاء للنّشر والتوزيع، ط.01، الأردن، د.س، ص:75.
32- ينظر: محمد زياد حمدان، الدّماغ والإدراك والذّكاء والتعلّم (دراسة فيسيولوجيّة لماهيتها ووظائفها وعلاقاتها)، دار التربيّة الحديثة، د.ط، د.ب، 1986، ص:28.
33- ينظر: ن.م، ص:36.
34- عبد الجبّار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنّشر، كليّة الآداب والفنون الإنسانيّة، متّوبة ، تونس، ط.01، 2010، ص:39.
35- روبرت سولسو، علم النفس المعرفي، ص:59.
36- سناء البياتي، نظريّة الصفر للنّحو الكلّي وتطبيقاتها في العربيّة، محاضرة ألقيت يوم: 2022/06/03 على:08:00 سا،(مختبر القاهرة للعرفانيّات واللّسانيّات والتداوليّاتCLP بأكاديميّة نوفوم الدوليّة NIA، تخوم اللّغة والعلوم)، الموسم العلمي: 2022/2021، تمّ الاطّلاع: 2022/11/12 على الساعة: 13:46سا، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=C_4cqjjv-qA
37- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات الّتي نحيا بها، تر:عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط:02، 2009، ص:21.
38- روبرت سولسو، علم النفس المعرفي، ص:11.
39- Pour une logique du sens, P.U.F, Martin Boboh, Paris, 1983, P:114.
40- فدوى العذارى، النّظام والعرفان في اللّغة، مجلّة الميادين للدّراسة في العلوم الإنسانيّة (مجلّة إليكترونيّة -www.majalate almayadine.com)، مج:01، ع:02، الجزائر، 2019، ص:103.
41- عبد الجبّار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنّشر، كليّة الآداب والفنون الإنسانيّة، متّوبة ، تونس، ط.01، 2010، ص:36.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأزهر الزناد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، دار محمد علي للنّشر، منشورات الاختلاف، ط:01.
2- عامر إبراهيم علوان، تربيّة الدّماغ البشري وتعليم التّفكير، دار صفاء للنّشر والتوزيع، ط.01، الأردن، د.س.
3- عبد الجبّار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنّشر، كليّة الآداب والفنون الإنسانيّة، متّوبة ، تونس، ط.01، 2010.
4- عبد الرحمن محمد طعمة، البناء الذهني للمفاهيم (بحث في تكامل علوم اللّسان وآليات العرفان)، دار كنوز المعرفة العلميّة، د.ط، الأردن، 2019.
5- عبد الرحمن محمد طعمة- الحبيب المقدميني- عفاف موقو- صابر الحباشة- عمر بن دحمان، دراسات في اللّسانيّات العرفانيّة (الذهن واللّغة والواقع)، دار وجوه للنّشر والتّوزيع، ط1، السعوديّة.
6- عطيّة سليمان أحمد، اللّسانيّات العصبيّة (اللّغة في الدّماغ-رمزيّة عصبيّة عرفانيّة)، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، 2019، القاهرة.
7- عطيّة سليما أحمد، الاستعارة القرآنيّة والنظريّة العرفانيّة، وكليل كليّة التربيّة، جامعة السويس، رئيس قسم اللّغة العربيّة، حقوق الطّبع والنشر للمؤلّف، د.ط، د.ب، د.س.

8- محمد زياد حمدان، التّماغ والإدراك والذّكاء والتعلّم (دراسة فيسيولوجيّة لماهيتها ووظائفها وعلاقاتها)، دار التربيّة الحديثة، د.ط، د.ب، 1986.
9- محمد الصّالح البوعمراني، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفاني، مكتبة علاء الدّين، صفاقس، 2009.
10- مريم سليم، علم تكوين المعرفة (إبستمولوجيا بياجه)، معهد الإنماء العربي، ط:01، بيروت، 1998.
11- سناء حميد البياتي، اكتشاف (الصفر) في اللّغة ونتائجه على النّحو العربي،مركز إحياء التراث العلميّ العربيّ، جامعة بغداد، 2005 نشر:2020، د.ط.
12- ضاري خميس العبادي، سيكولوجيا عادات العقل والسلوكيات الذكيّة (التعوّد العقلي)، مكتبة اليمامة للطّباعة والنشر، د.ط، بغداد، 2019.
13- نوال محمد عطيّة، علم النفس اللّغويّ، المكتبة الأكاديميّة، ط:03، 1995، القاهرة.
14- Pour une logique du sens, P.U.F, Martin Boboh, Paris, 1983.
15-إيريك جنسن، التعليم المستند إلى التّماغ (النموذج الجديد للتدريس)، تر: هشام سلامة وحمدي أحمد عبد العزيز، دار الفكر العربي،ط.01، القاهرة، 2014.
16- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات الّتي نحيا بها، تر:عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط:02، 2009.
17- روبرت سولسو، علم النفس المعرفي، تر: محمد نجيب الصبوة وآخرون، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط:02، القاهرة، 2000.
18- حنان كرميش ويوسف منصر، تلقّي اللّسانيّات العرفانيّة في الخطاب اللّساني العربي (الأزهر الزنّاد ومحمّد صالح البوعمراني أنموذجا)، حوليّات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، د.مج، ع:27، ديسمبر2019.
19- سعدي فاطمة، أثر اللّسانيّات العرفانيّة في هندسة المهارات االذهنيّة انطلاقا من اللّغة، جسور المعرفة، مج:08، ع:01 ، مارس2022.
20- فدوى العذارى، النّظام والعرفان في اللّغة، مجلّة الميادين للدّراسة في العلوم الإنسانيّة (مجلّة إليكترونيّة www.majalate-almayadine.com)، مج:01، ع:02، الجزائر، 2019.
21- عبد الرحمن محمد طعمة، تقرير "سلون" 1978 وبزوغ العلوم البينيّة، أغسطس2020، تاريخ الاطّلاع: 10فيفري2022، الساعة10:00 https://elmqal.com/%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%B3%D9%84%D9%88%D9%86-1978%D9%85-%D9%88%D8%A8%D8%B2%D9%88%D8%BA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9/
22- سناء البياتي، نظريّة الصفر للنّحو الكلّي وتطبيقاتها في العربيّة، محاضرة ألقيت يوم: 2022/06/03 على:08:00 سا،(مختبر القاهرة للعرفانيّات واللّسانيّات والتداوليّاتCLP بأكاديميّة نوفوم الدوليّة NIA، تخوم اللّغة والعلوم)، الموسم العلمي: 2022/2021، تمّ الاطّلاع: 2022/11/12 على الساعة: 13:46سا، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=C_4cqjjv-qA
23-https://www.youtube.com/watch?v=f2IiMEbMnPM&t=20s